

# نابولي

## اخطف اللحظة

بقلم وعدسة: دومينيك وسوزان ميرل

"انسينديوا حريق! انسينديوا!"

لقد كان إيقاظا مزعجا في الساعة الواحدة فجرا ونحن في غرفة بالطابق السادس من فندق سان فرانسيسكو ألمانتي. وتبعه طرق على الباب. وقبل لنا باللغتين (الإنكليزية والإيطالية) أن علينا مغادرة الفندق بأسرع وقت بواسطة السلم. وقد شممنا من الطابق الرابع رائحة حريق. وجاءني خاطر بأن هذا الفندق على الرغم من كونه في الأصل دير مليء بالمعجز، فإننا ننحدر إلى محرقة جهنمية.

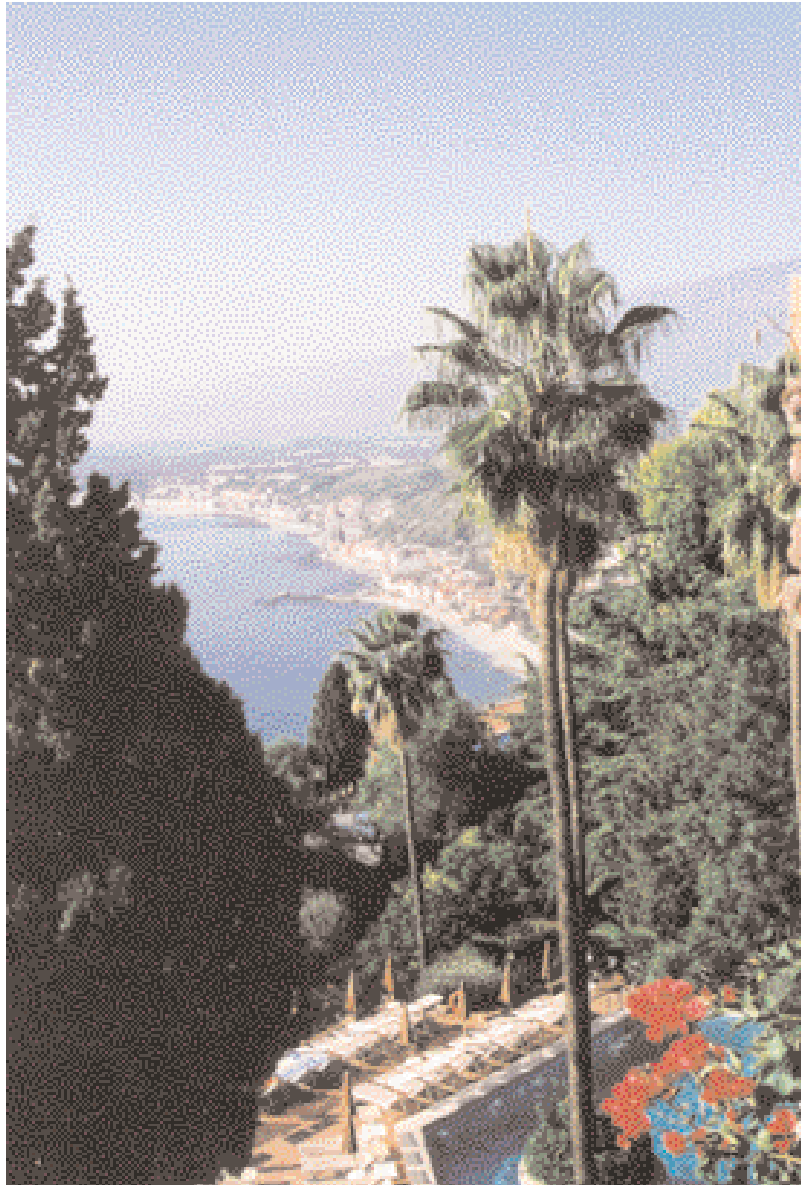
انتقال إلى المناطق الجذابة المحيطة مثل بومبي، كابري وشاطن؛ أمالفي، وحتى الإيطاليين الشماليين يكونون حزين عندما يضعون أقدامهم في نابولي.

وطبعا من الصحيح أن بعض الإيطاليين هم بالإضافة إلى خطفهم اللحظة، فإنهم متدربون على خطف محفظتك أو نقودك، ولكن مع قليل من الإدراك والحذر المعتاد، إذا تركت لهم الفرصة، فقد يخطفون قلبك.

لقد كنت وزوجتي سوزان جزءاً من مجموعة صغيرة تقودها شركة كانتالوبو تورز في إيطاليا، وكان قائد مجموعتنا ومدير البرنامج، السيد ميكائيل سان فيليبو، ينوف على الأربعين، من نيويورك، وهو حريص تماما على تحسين صورة جنوب إيطاليا وصقلية.

"انظروا حولكم" قال ذلك ونحن في أول تجوال لنا في "نابولي القديمة" والشاطن؛ "هل تحسون بخوف؟"

وكانت الشوارع الضيقة المرصوفة بالحجارة بتقاسمها المارة والدراجات النارية والسيارات، ولا توجد هنا قواعد، ولا أرصفة، ولا إشارات مرور، ولكن يبدو أن كل ذلك يعمل بتناسق تام، وكانت النسوة النابوليات بعدن من السوق ورائحة عصير الطماطم المطهو واضحة ←



Taormina

تاورمينا

وبناء على هذا الخاطر، برز لنا رجل أطفاء ذو مظهر جميل جدا مع شارب دنيء فرحب بنا في قاعة الاستقبال. "يومكم سعيدا!" قالها وهو يشير لنا بأن نقف في الشارع مع النزلاء بثيابهم غير المرتبة.

وكانت النار محصورة في حيز صغير في مطبخ الطابق الرابع، فتم إطفائها بسرعة وأخبرنا بسلامة العودة إلى غرفنا، ولكن منظر مرفأ نابولي كان يشد الأنظار، ولم يحتج الجميع من عمال الفندق ورجال الإطفاء والغرباء إلى وقت طويل لأن ينغمسوا في محاورة حامية.

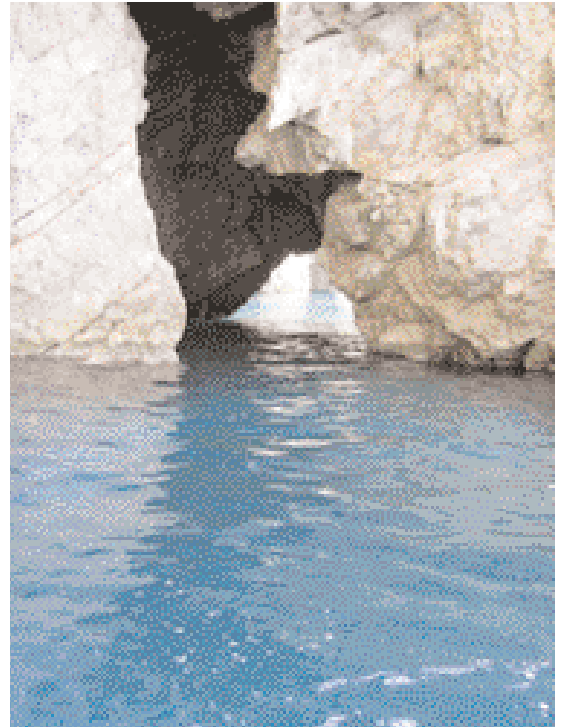
وأهل نابولي يقولون عبارة ترجمتها غير الحرفية هي "اخطف اللحظة". وهم يعتقدون أنه حتى في أشد اللحظات توترا يمكن العثور على درجة من السعادة. وكنت على وشك إدراك مثال على ذلك.

لقد قام عامل في الفندق بتشغيل ماكينة اسبريسو في مدخل الفندق ليديم المناقشة، وعند عودتي إلى المبنى كانت هناك مجموعة صغيرة من عمال الإطفاء وعمال الفندق وهم يحملون أكواب الشاي بأيديهم ويتحدثون ويضحكون، ويتمتعون بالهواء الليلي والمنظر الجميل جداً. توجهت أنا نحو غرفتي مباشرة، بينما هم خطفوا اللحظة.

هذا هو وجه نابولي الذي لم يصل الصحافة ولا تناقلته الأفواه. وفي أغلب الأحيان، يعتبر السياح هذه المدينة-الميناء الولد الشقي لإيطاليا، ويستعملونها كمحطة



The men



الرجال Small grotto

المغارة الصغيرة



Blue Grotto

المغارة الزرقاء

دولارات) إلى الجزيرة الجميلة والرومانسية. وعند اقترابنا من كابري، ذكرتني بتلك الجزر اليونانية الجميلة، الشبيهة بـ "مايكونوس" على سبيل المثال. وحالما ذكرت ذلك للشقراء الطويلة التي ستفقد فريقنا في جولة كابري، ربيكا بروكس. قالت بأدب إن جمال كابري ليس له مثيل. وبالطبع، فإن ربيكا التي تدير شركة تسمى كابري نايم متحيزة تماما. وهي المواطنة القادمة من نيو أورليانز التي عشقت الجزيرة منذ عام 1994. قررت الاستيطان هنا بصورة دائمة وفتحت لها دكاناً. وقد وسعت أعمالها حالياً فشملت بومبي وشاطئي أملفي وهي تطمح إلى شمول توسكاني. ولكن ←

إنني كنت زبونا محظوظا حصل على مساومة جيدة. واخترت تصديق الأخيرة، لأنه لم يكن ليبرح شيئاً من إظهار السعر الحقيقي في تلك المرحلة. وقد مشينا في شوارع نابولي القديمة المزدهمة عدة مرات خلال إقامتنا، منفردين أو ضمن الجماعة، فوجدنا أن الباعة المحليين مستعدون للمساعدة إذا ما تقدمنا بطلب مفهوم، ولا أذكر أنني شاهدت الكثير من السياح العالميين في الطريق. إذن أين يذهبون، هؤلاء القطعان الذين يأتون بالبواخر والطائرات؟ كابري، كمدخل، وهذا هو المكان الذي كان على قائمة زيارتنا في اليوم التالي. وأخذنا مركبا من نابولي (لمدة ساعة تقريباً وبأجرة 10

في كل مكان.

توقفنا لتناول الغداء في محل للبيزا ذي طابقين اسمه لومباردي وهو بالقرب من دومينيكو ماغوري بيزا. وكان مزدحماً بالزبائن من الأهالي فانتظرنا 15 دقيقة للجلوس إلى طاولة. ومن المتفق عليه عالمياً أن البيزا قد بدأت من نابولي، ومعظم النابوليين ما يزالون يفضلونها على النحو التقليدي: رقيقة ومغطاة فقط بالطماطم، وجبن الميزرالا وعشب الباسل. وينجم عن ذلك بيزا بالألوان الأحمر والأبيض والأخضر، وهي ألوان العلم الإيطالي.

ولما كان الطعام البحري متوفراً هنا بكثرة، فإن الأسماك المحارية والحبار وغيرها من الأسماك تستعمل في البيزا. وبأكل الأهالي البيزا بالسكين والشوكة، وليس بأيديهم. وتأتي البيزا في حجم واحد، وهو في العادة يكفي لشخص واحد.

وتوجهنا بعد الغداء إلى شارع ضيق ملتو يعرف بـ "شارع الميلاد"، حيث تباع، على مدار السنة، قطع يدوية مزخرفة تبين ولادة السيد المسيح (ع). ولما كان الوقت قريباً من موسم عيد الميلاد، فقد زينت الدكاكين بمشاهد من ولادة السيد المسيح، ويرى الكثير من الحرفيين وهم يقومون بأعمالهم.

وتوقفت وزوجتي عند دكان صغير، وبدلاً من مشاهد الميلاد، فقد أدهشنا منظر شخص أسطوري يعرف بـ "الكوبو"، وهو رجل أحذب يحمل خليطاً من الأشياء: فلفل، وحدوة حسان، وسمكة ومظلة. ويفترض فيه أنه يطرد حسد الحاسدين بخليطه السحري.

وسألت شاباً في الدكان عن ثمن "الكوبو"، وبعد أن اتفقنا، وعندما كان يقوم بلف الشخص الخشبي أدرك أنه قد باعه بسعر خاطئ؛ بفارق 80 يورو عن السعر الحقيقي. ورغم مسحة الحزن في عينيه فقد أصر على أنني أستطيع شراءه بسعر مرخص بقدر كبير.

وإما أن يكون هو ممثلاً جيداً فـ "خطف اللحظة" أو



Private dinner on the terrace

عشاء خاص

ولكن تزايد رواد الفنادق قد طرد الأهالي فتحول المطعم الشعبي إلى مطعم سياح. وكان النادل لطيفاً، والأكل جيد جداً، واستمر في جلب "زيادات" حيث امتد بنا الليل. وقد اعتبرنا ذلك دلالة طيبة، ولكن عندما استلمنا القائمة كانت الزيادات مسطرة بنظام دقيق والمجموع الكلي ضعف ما توقعنا، ومع ذلك فإن الطعام والجو والنادل الطريف قد جعلنا نعود سعداء. ورأينا ونحن نغادر المطعم "الزيادات" تقدم إلى مائدة أخرى من السياح. كما يقولون "اخطف اللحظة".

(دومينيك وسوزان ميرل كاتبان سياحيان من مونتريال)

سباغيتي، ولم تستطع أنيت إيكبيرغ التوقف عن أكل المعجنات مع الفاصوليا، واكتفت جاكى بصحن من جبن الموزيلا مع قطع من الطماطم. ولكن بالرغم من شهرتها واختلاطها مع المشاهير، فمما لا نتحدث بكلمة من الانكليزية، وتدير بنتها، تشيارا، أعمال العائلة وتقوم بالترجمة في مدرسة الطبخ. وسألت في آخر ليلة لنا في نابولي عاملا في الفندق فيما إذا كان هناك فندق شعبي في جوار الفندق يوفر طبخات نابولية، فكتب لي اسماً وأشار إلى الاتجاه الصحيح. وكنا أربعة من نفس المجموعة نتناول طعامنا الأخير.

كان المطعم صغيراً وجذاباً، ولكنه كان مليئاً بالسياح، وربما يكون قد بدأ محلاً شعبياً للأكل

كباري هي ما تدعوه حالياً بيتها، وقمنا بجولة حول الجزيرة في قارب، ودخلنا في عدد من الكهوف، وبضمنها الكهف الأزرق الشهير حيث يتغير لون الماء من الأزرق إلى الأخضر، وتعدينا في مطعم على الشاطئ حيث لا توجد قائمة بالمأكولات ("أنا القائمة" قال النادل وهو يتغنى بالوجبات الخاصة بذلك اليوم) ثم أخذنا السيارة الكهربائية المعلقة إلى القرية على قمة الجبل.

ورتب ميكائيل سام فيليب، قائد مجموعتنا، مع ريبكا لقيام بجولة لنا في بومبي في اليوم التالي، وهكذا عدنا إلى نابولي بحراً لليلة أخرى في ديرنا المحول.

وسقنا في اليوم التالي عبر الساحل إلى آثار بومبي التاريخية، حوالي 45 دقيقة سياقة، ورحبت بنا ريبكا في جولة أخرى. وقد هلك أهالي هذه المدينة الرومانية البالغ عددهم 15 ألف نسمة في سنة 79 ميلادية عندما ثار بركان جبل فيسوفوس، ولكن ما بقي منها هو مدهش للغاية.

الكثير من معالم المدينة القديمة ما يزال قائماً، أو على الأقل نصفه: البيوت، والأسواق، والمعابد، والحمامات العامة، وغيرها. وقد عرض في صناديق زجاجية بقايا عدد من الضحايا "المحنطين" في الرما، ويظهر من ملامحهم الأخيرة الخوف والقلق لافتراق الموت. وهناك فقط صبي قام بتغطية وجهه بقطعة قماش، وأم يبدو أنها تحمي طفلها.

وقد دهشنا عندما سمعنا أن قسماً كبيراً من بومبي لم يتم الكشف عنه إلى هذا اليوم. وقد فسر هذا التردد بعدد من الأسباب. الأول أنه لم تتوفر ميزانية حكومية كافية للحفاظ على ما هو موجود، وثانياً أنه متروك للأجيال القادمة لأن تقوم بالكشف عنه، وثالثاً أن بعض الناس يتلاعبون بالواردات من أجور الدخول.

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا سياقة من بومبي جنوباً إلى شاطئ أمالفي المرغوب، وربما يكون أجمل مسافة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وبيت قراه المصفوفة، مثل رافيلو وبوسيتانو، تجذب الأغنياء والمشاهير في العالم في قمة موسم السياحة. واتخذ الكاتب الأمريكي المثير للجدل غور فيدال رافيلو مسكناً له منذ سنوات عديدة، وبيته يقف على قمة الجبل. وأيضاً جون شتاينيك، وغريت غاربو، وأنيت إيكبيرغ، وفريد ألستير، وهمفري بوغارت وجاكلين كنيدي أوناسيس جعلوا من هذا الجزء من العالم محلاً صغيراً لاستجمامهم الخاص.

وتعدينا في رافيلو في بيت امرأة في الستينات من عمرها وقد تعرفت بكثير من هؤلاء المشاهير وطبخت لهم، وهي تعرف ببساطة بـ "ماما أغانا" وهي تدير اليوم مدرسة طبخ إلى جانب مطعمها الذي يوفر خدمة بالحجز فقط في الفيلا الخاصة بها والمطلة على شاطئ أمالفي.

وقد كانت تعرف بـ "أغانا الصغيرة" عندما بدأت الطبخ في سن 13 سنة لامرأة أمريكية ثرية مولعة بإعداد الحفلات للزوار المشاهير. وهي تتذكر فريد ألستير الذي راقصها الفالتر في الحديقة بعد وجبة